تجلي مكوّن (حسن الخلق) القرآني في سيرة الإمام الرضا عليه السلام

الدكتور رضا كشاورز
الأستاذ المساعد في قسم المعارف الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نيشابور، نيشابور، إيران
keshavarz@neyshabur.ac.ir

The manifestation of the Qur'anic component of "good character" in the biography of Imam Reza (peace be upon him)

Dr. Reza Keshavarz
Assistant Professor , Department of Islamic Knowledge , Faculty of letters and humanities , University of Neyshabur , Neyshabur , Iran

الملخص:

كان الإمام الرضا عليه السلام، مثل غيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام، أكثر عناية وتوصية لتلاوة القرآن الكريم و وتفسيره واستخدام أوامره ومفاهيمه كأهم مصدر إلهي. بسبب حبه الكثير للكتاب الإلهي، فقد اتبع دائمًا التعاليم القرآنية في مختلف الأبعاد الفردية والاجتماعية ونصح الآخرين بوضع المفاهيم القرآنية نصب أعينهم في الحياة. يتم في هذا البحث دراسة ((حسن الخلق)) كمكون قرآني قد تجلي في كلام الإمام الرضا عليه السلام وسلوكه كما تتم المقارنة بين الآيات القرآنية و بعض المظاهر الأخلاقية الحميدة مثل: طلاقة الوجه، الإيثار، والتواضع والشعبية، العفو والتسامح، والمحبة واللطف في الأسرة، الإنفاق والإحسان والانفتاح؛ الذي ورد في سيرة الإمام عليه السلام. إن دراسة هذه الحالات توضح بوضوح سر نجاح ذلك الإمام عليه السلام في جذب قلوب الناس إليه وقوعدة الثقافة و المعارف القرآنية للإنسانية في أسلوب حياة زمانه ومدها إلى مستقبله.

الكلمات المفتاحية: أسلوب الحياة القرآنية، سيرة الإمام الرضا عليه السلام، المكون القرآني، حسن الخلق.

Abstract:-

Imam al-Reza (peace be upon him), like other infallible imams (peace be upon them), was more careful and recommended to recite the Noble Qur'an, interpret it and use its commands and concepts as the most important divine source. Because of his great love for the divine book, he has always followed the Quranic teachings in various individual and social dimensions and advised others to put Quranic concepts in mind in life. In this research, "good character" is studied as a Quranic component that has been manifested in the words and behavior of Imam al-Reza, peace be upon him, and a comparison is made between the Quranic verses and some good moral aspects such as: fluency in the face, altruism, humility and popularity, forgiveness and tolerance, love and kindness in the family, spending benevolence and openness; Which was mentioned in the biography of the Imam, peace be upon him. The study of these cases clearly shows the secret of the success of that Imam, peace be upon him, in attracting people's hearts to him and the foundation of the culture and Qur'anic knowledge of humanity in the way of life of his time and its extension to his future.

Key words: The Qur'anic lifestyle, the biography of Imam al-Reza, peace be upon him, the Qur'anic component, good manners.

المقدمة:

من وجهة نظر الإسلام فإنّ أسلوب الحياة يقوم على التركيز على الله ويتشكل هذا المعني في ضوء الإعتقاد بالتوحيد في الربوبية والتوحيد في التشريع وتتجلي الإرادة الإلهية في شكل الدين وقوانين الشريعة. للقرآن الكثير من الأمور التي يجب القيام بها وما يجب تجنبه في الحياة الذي يعد القيام بها، أحد عوامل تشكيل أسلوب الحياة. إن الحياة في القرآن تبدأ قبل الولادة وتستمر حتى بعد الموت. وهذه السمة المميزة هي نظرة القرآن إلى الحياة التي لا توجد في غير ذلك. وتعبير القرآن لهذا الأسلوب هو الحياة الطيبة. ووفقاً لهذا، يجب أن نعد الأمثلة وعوامل الإيمان والعمل الصالح مع منهج الحياة الطيبة من أجل الحصول على أسلوب الحياة المؤمنين. لأن الله تبارك وتعالى هو خالق البشر، أحاط بكل حاجات الإنسان. فقد لبّي حاجة البشر إلى اتباع الشخصية المثالية والنموذجية لتحقيق الكمال والفضيلة والسير إلى الله من خلال ارسال البشر الكامل مثل الأنبياء والتعريف بالأئمة المعصومين عليهم السلام. الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام، هم بشر رفيع المنزلة وبسبب شخصيتهم الشاملة وامتلاكهم مجموعة واسعة من الفكر النظري والعملي والمعارف الإلهية يستطيعون أن يساعدوا الإنسان في مسار تنمية مواهبهم وعبور تعرجات الحياة وبفضل شخصيتهم الشاملة، ويكشفوا عن الجنة المفقودة والمدينة الفاضلة للبشر. إن الإمام الرضا عليه السلام هو انسان كامل ومثالي كغيره من الأئمة المعصومين عليهم السلام، الذي يستطيع هداية كل طالبي الحقيقية والسعادة إلى المطلوب الرئيسي من خلال التزين بالفضائل والمناقب الإنسانية والتمتع بالسيرة الأخلاقية وسلوك مستوحي من القرآن. في هذا البحث نحاول دراسة جوانب السيرة الأخلاقية والتربوية للإمام الرضا عليه السلام ومقارنتها مع الآيات القرآنية. ومن المؤمل أن تكون هذه الخطوة الصغيرة فعالة في التعريف بالإمام كرمز للحقيقة الإنسانية ونموذج خالص لاستغلال جيل اليوم الذي يواجه جهلًا جديداً وكل أنواع رموز الشر.

تجلي حسن الخلق في طلاقة الوجه:

يتجلى قسم من حسن الخلق في طلاقة الوجه وحسن السلوك التي تستعبد الآخرين في فخ جزيته ويلعب دوراً رئيسيًا بين الفضائل الأخلاقية والإنسانية. يكون حسن الخلق في

النظر والإبتسامة كما يتجلى في القول والعمل. حسن الخلق، سواء في المظهر أو في الابتسامة. يتجلى في الكلام والسلوك. تلعب المواجهة بين وجهين معاً ونوعية هذه المواجهة دوراً رئيسياً في فتح القلوب. (رك: محدثي،٣٤) إنّ طلاقة الوجه و العطوفة كانتا من أبرز سمات نبي الإسلام صلى الله عليه وآله والتي لعبت دوراً رئيسياً في جذب الناس إلى الإسلام ورسول الله.

حيث قال الله سبحانه تعالى عن هذه الصفة لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾(آل عمران، ١٥٩) وتسلم هذا الوسام العظيم (أي الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾) (القلم، ٤) من الله بسبب صفة حسن خلقه ورأفته. كما تأثر الإمام الرضا عليه السلام بالقرآن الكريم والسيرة والسنة النبوية وكان له حسن الخلق الذي يجذب كل الناس إلى الإمام عليه السلام. حيث قد روي أيضا أن عَفَرَ بْنُ نُعَيْمِ بْنِ شَاذَانَ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ إِدْرِيسَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْعَبَّاسِ قَالَ: ((مَا رَأَيْتُ أَبَا الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام جَفَا أَحَداً بِكَلَامِهِ قَطُّ وَ مَا رَأَيْتُ قَطَعَ عَلَى أَحَدٍ كَلَامَهُ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهُ وَ مَا رَدَّ أَحَداً عَنْ حَاجَةٍ يَقْدِرُ عَلَيْهَا)). (ابن شهر آشوب، ٣٦٧-٣٦٠)

والنقطة المضادة لطلاقة الوجه هو تهجم الوجه واللامبالاة، مما لهما آثار سلبية ومدمرة على المجتمع. هذا السلوك القبيح يفصل بين قلوب الناس. (رفيعي و كردي، ٣٦) قد ذمّت صفة تهجم الوجه القبيحة في القرآن الكريم كما قد قال الله سبحانه تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ﴾؛ (العبس، ٤-١) كما يُفهم من الآية، فإن السلوك القبيح المتمثل في تهجم الوجه واللامبالاة قد تم ذمه حتى أمام الأعمى الذي لا يرى وجه الشخص الذي يكون أمامه. حسن القول وحسن الخلق يعتبران من نصائح الله سبحانه تعالى لعباده كما قال: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ (الاسراء، ٥٣) كما كان الإمام الرضا عليه السلام في حياته وفي معاملته مع الناس، حيث قد روي: ((الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنِ السَّيَّارِيِّ عَنْ عُبَيْدِ بْنِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَغْدَادِيِّ عَمَّنْ أَخْبَرَهُ قَالَ نَزَلَ بِأَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام ضَيْفٌ وَ كَانَ جَالِساً عِنْدَهُ يُحَدِّثُهُ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَتَغَيَّرَ

السِّرَاجُ فَمَدَّ الرَّجُلُ يَدَهُ لِيُصْلِحَهُ فَزَبَرَهُ أَبُو الْحَسَنِ عليه السلام ثُمَّ بَادَرَهُ بِنَفْسِهِ فَأَصْلَحَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ إِنَّا قَوْمٌ لَا نَسْتَخْدِمُ أَضْيَافَنَا))(الكليني؛ ٣٠٣/٦)

تجلي حسن الخلق في الإيثار مع الناس:

كان التعامل مع جميع الناس والمواطنين من سمات السيرة الرضوية سواء أن يكون هؤلاء الأشخاص أناس طيبون أم سيئون. كما قال الإمام الرضا عليه السلام: ((اَلتَّوَدُّدُ إلى النّاسِ نِصفُ العَقلِ))(الحراني، ٤٦٨) يفهم الرجل الحكيم أن البشر الآخرين هم أعضاء مجتمع يكونون حجر الأساس للحياة ومصدر الأمن العقلي والصحة الجسدية للإنسان ويلبي كل منهم جزءاً من إحتياجات المجتمع بطريقة ما. يدرك العقل البشري أنه من الممكن استغلال نتاج جهود الآخرين في ضوء الصداقة والرحمة والمحبة، وأن النزال والشراسة لا ينتهيان إلى أي مكان. يفهم العقل البشري بشكل صحيح أنه إذا مارس البشر أسلوب الصداقة والرحمة في علاقاتهم الاجتماعية، فإن النتيجة والفائدة ستكون لهذا الشخص، لأن رد فعل الآخرين أمام الخير والصداقة، سيتبع العمل الصالح والصداقة. وإذا أصبح هذا الأسلوب شائعاً في جميع المجتمع، فيتم تمنهجه كمبدأ اجتماعي وقاعدة في المجتمع. (رك: حكيمي، ١٣٨٩: ٦ - ٥٥) بالطبع، يجب أن يتجلى هذا المعنى في قول الإنسان وعمله وسلوكه؛[1] لأن عمل الأشخاص الطيبين والمستحقين هو أفضل مدرسة للإنسانية والتعليم.

إن الإمام الحسين عليه السلام يشبّه السلوك الإنساني الحسن بقطرات المطر الربيعية التي تسقط على جميع المدن والأراضي الصلبة ولا تبخل في التمطر على الحجارة أو الأرض غير الصالحة للزراعة. وقال الإمام عليه السلام لشخص يعتقد أن المعروف إذا أسدى إلى غير أهله ضاع: لَيْسَ كذلك، وَلكنْ تَكونُ الصَّنيعَةُ مِثْلَ وابِلِ الْمَطَرِ، تُصيبُ الْبِرَّ وَالْفاجِرَ. (حراني، ٢٥٠/ حكيمي، ٣٢ ـ ٣١) موضوع الإنسانية والديمقراطية في حياة الإمام الرضا عليه السلام ينبع من منطق القرآن الكريم. في هذا المنطق، لا تتعلق قيمة الإنسان بالمعايير الخارجية والطبقية، بل تتعلق بالمعايير الباطنية والحقيقية ومدى امتلاك المعرفة والتقوى. كان الإمام عليه السلام كثير البر والاحسان إلى العبيد. وقد روي عبد الله بن الصلت، عن رجل من أهل بلخ قال: كنت مع الرضا عليه السلام في سفره إلى خراسان فدعا يوما بمائدة له فجمع

عليها مواليه من السودان وغيرهم فقلت: جعلت فداك لو عزلت لهؤلاء مائدة؟ فقال: مَهْ ! إنَّ الرَّبَّ تباركَ و تعالى واحدٌ، و الأُمُّ واحدَةٌ، و الأبُ واحدٌ، والجَزاءُ بالأعمال. (الكليني، ج ٤، ٢٣١/ الكافي، ج٨، ٢٣٠) علَّمهم الإمام الرضا عليه السلام بسلوكها وأخلاقها العملية أن اللون والعرق لا يجعل الناس متفوقين على بعضهم البعض وأن الجميع متساوون. (كتابي، ٣٧)

ومن سموّ أخلاقه أنّه إذا جلس على مائدة أجلس عليها مماليكه حتى السائس والبوّاب، وقد أعطى بذلك درساً لهم، لقاء التمايز بين الناس، وأنّهم جميعاً على صعيد واحد، ويقول إبراهيم بن العباس: سمعت على بن موسى الرضا عليه السلام يقول:

حَلَفْتُ بِالْعتْقِ أَلاَّ أَحْلِفَ بِالْعتْقِ إِلاَّ أَعْتَقْتُ رَقَبَةً وَ أَعْتَقْتُ بَعْدَهَا جَمِيعَ مَا أَمْلِكُ إِنْ كَانَ يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا (وَ أَوْمَى إِلَى عَبْدٍ أَسْوَدَ مِنْ غِلْمَانِه) بِقَرَابَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله إِلاَّ أَنْ يَكُونَ لِي عَمَلٌ صَالِحٌ فَأَكُونَ أَفْضَلَ بِهِ مِنْهُ. (عيون أخبار الرضا، ج٢، ٢٣٧).

حَدَّثَنَا حَمْزَةُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام بِقُمَّ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ وَ ثَلاَثِينَ وَ ثَلاَثِمَائَةٍ قَالَ أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ هَاشِمٍ فِيمَا كَتَبَ إِلَيَّ سَنَةَ سَبْعٍ وَ ثَلاَثِمَائَةٍ قَالَ حَدَّثَنِي يَاسِرٌ الْخَادِمُ قَالَ :كَانَ الرِّضَا عليه السلام إِذَا كَانَ خَلاَ جَمَعَ حَشَمَهُ كُلَّهُمْ عِنْدَهُ الصَّغِيرَ وَ الْكَبِيرَ فَيُحَدِّثُهُمْ وَ يَأْنَسُ بِهِمْ وَ يُؤْنِسُهُمْ وَ كَانَ عليه السلام إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمَائِدَةِ لاَ يَدَعُ صَغِيراً وَ لاَ كَبِيراً حَتَّى السَّائِسَ وَ الْحَجَّامَ إِلاَّ أَقْعَدَهُ مَعَهُ عَلَى مَائِدَتِهِ. (عيون أخبار الرضا، ج ٢، ١٥٩)

تجلي حسن الخلق في التواضع والتعامل مع الناس

من ضرورات المؤانسة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي هي ((التعامل مع الناس والتسامح)) والعيش مع الناس ومن أجل الناس وكما من أوضح مظاهر التعامل مع الناس هو التواضع والتعايش مع طبقات مختلفة من الشعب.

الإمام الرضا عليه السلام يعتقد بدرجات ومراحل في هذا الأمر كما يقول:

التَّوَاضُعُ دَرَجَاتٌ مِنْهَا أَنْ يَعْرِفَ الْمَرْءُ قَدْرَ نَفْسِه فَيُنْزِلَهَا مَنْزِلَتَهَا بِقَلْبٍ سَلِيمٍ لَا يُحِبُّ أَنْ يَأْتِيَ إِلَى أَحَدٍ إِلَّا مِثْلَ مَا يُؤْتَى إِلَيْهِ إِنْ رَأَى سَيِّئَةً دَرَأَهَا بِالْحَسَنَةِ كَاظِمُ الْغَيْظِ عَافٍ عَنِ

النَّاسِ وَ اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ. (الكليني، ج ٢، ١٢٤) بالإضافة إلى الكلام، أظهر أيضًا التواضع في العمل؛ كما جاء: ((ودخل عليه السلام الحمام فقال له بعض الناس: دلكني يا رجل، فجعل يدلكه فعرفوه فجعل الرجل يستعذر منه وهو يطيب قلبه ويدلكه.)) (ابن شهرآشوب، ج ٣، ٤٧١) خلال فترة ولاية عهده، لم يأمر أيًا من عبيدها أو حراسها الشخصيين بالقيام بعمله. يقال: ((دخل الرضا عليه السلام يوما والمأمون يتوضأ للصلاة والغلام يصب على يده الماء فقال: لا تشرك يا أمير المؤمنين بعبادة ربك أحدا، فصرف المأمون الغلام وتولى تمام الوضوء بنفسه)) (اربلي، ج ٣، ١٠٨)

وقد أشير إلى هذه الصفة المحمودة في القرآن الكريم حيث قال سبحانه تعالى: ((وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا)) (الفرقان، ٦٣) ومن أحبّ الناس إلى الله سبحانه تعالى أيضا هم الذين يكونون متواضعين أمام المؤمنين وغير متواضعيين أمام الكفار: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (مائدة، ٥٤) كما كان الإمام الرضا عليه السلام رائداً في الصداقة والعيش مع الفقراء، وفي أقواله و اعماله أظهر اهتمامه بقداسة الفقراء. حيث قال: ((مَنْ لَقِيَ فَقِيراً مُسْلِماً فَسَلَّمَ عَلَيهِ خِلافَ سَلامِهِ عَلَى الْغَنِيِّ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ يَوْمَ الْقِيامَهِ وَ هُوَ عَلَيهِ غَضْبانُ)) (المجلسي، ج ٧٢، ٣٨)

تجلي حسن الخلق في العفو والتسامح

العفو والتسامح عن أخطاء الآخرين علامة التعاطف وستكون لها نتائج إيجابية في الحياة. قال الله تعالى في القرآن الكريم عن العلاقة بين المؤمنين: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (نور، ٢٢)؛ مبدأ التغافل والتسامح، يدلُّ على سعة صدر الانسان. أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الْوَاسِطِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ الْجُمَحِيِّ عَنْ هَارُونَ بْنِ يَحْيَى عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ :مَرِضَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام فِي مَرَضِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَجَمَعَ أَوْلَادَهُ مُحَمَّداً وَ الْحَسَنَ وَ عَبْدَ اللَّهِ وَ عُمَرَ وَ زَيْداً وَ الْحُسَيْنَ وَ أَوْصَى إِلَى ابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ وَ كَنَّاهُ الْبَاقِرَ وَ جَعَلَ أَمْرَهُمْ إِلَيْهِ وَ كَانَ فِيمَا وَعَظَهُ فِي وَصِيَّتِهِ أَنْ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنَّ الْعَقْلَ رَائِدُ الرُّوحِ وَ الْعِلْمَ رَائِدُ الْعَقْلِ وَ الْعَقْلَ تَرْجُمَانُ الْعِلْمِ وَ اعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ أَبْقَى وَ اللِّسَانَ أَكْثَرُ

هَذراً وَ اعلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ صَلاحَ اَلدُّنْيَا بحَذَافيرِهَا فِي كَلمَتَيْنِ إِصْلاَحِ شَأْنِ اَلْمَعَايِشِ مِلْءَ مِكْيَالٍ ثُلُثَاهُ فِطْنَةٌ وَ ثُلُثُهُ تَغَافُلٌ لِأَنَّ اَلْإِنْسَانَ لاَ يَتَغَافَلُ إِلاَّ عَنْ شَيْءٍ قَدْ عَرَفَهُ فَفَطَنَ لَهُ. (بحار الأنوار، ج ٤٦، ٢٣٠)

التغافل يعني أن تغض الطرف عن الهفوات وألا تحصي السيئات، وأن تترفع عن الصغائر، ولا تُركّز على اصطياد السلبيات. التغافل يحافظ على كرامة الناس وبالتالي يمنحهم فرصة للتعويض عن خطأهم. العفو والتسامح صفة أخلاقية ثمينة يأمر بها الله سبحانه تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (الاعراف، ١٩٩) وقال أيضا: ﴿وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (التغابن، ١٤) كما اعتبر الله سبحانه تعالى العفو والتسامح وكظم الغيض من ميزات المؤمنين والمتقين واعتبرهم من أهل الخير وقال: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران، ١٣٤)

صَفْحُ الشيء: عرضه وجانبه، كَصَفْحَةِ الوجه، وصَفْحَةِ السّيف، وصَفْحَةِ الحَجَر. والصَّفْحُ :تركُ التّثريب، وهو أبلغ من العفو. وصَفَحْتُ عنه: أوليته مني صَفْحَةً جميلةً معرضا عن ذنبه، أو لقيت صَفْحَتَهُ متجافيا عنه، أو تجاوزت الصَّفْحَةَ التي أثبتّ فيها ذنبه من الكتاب إلى غيرها. (راغب الاصفهاني، ج ١، ١٨٠) قال الإمام الرضا عليه السلام في تفسير هذه الآية الشريفة: ﴿فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ (الحجر، ٨٥): ((العفوُ من غَيرِ عتابٍ)) (البحراني، ج٢، ٣٥٣) المراد من الصفح، هو العفو دون اللوم. قد تجلت هذه النصائح القرآنية بوضوح في الحياة العملية للإمام الرضا عليه السلام.

روى العياشي عن صفوان قال: أستأذنت لمحمد بن خالد على الرضا عليه السلام أبي الحسن وأخبرته أنه ليس بقول بهذا القول، وأنه قال: والله لا أريد بلقاءه إلاّ لأنتهي إلى قوله. فقال: أدخله، فدخل، فقال له: جعلت فداك إنه كان فرط منّي شيء وأسرفت على نفسي، وكان فيما يزعمون أنه كان يعيبهُ. فقال: وأنا أستغفر الله ممّا كان منّي؛ فأحبُّ أن تقبل عذري وتغفر لي ما كان منّي، فقال: نعم أقبلُ، إن لم أقبل كان إبطال ما يقول هذا وأصحابه ـ وأشار إلى بيده ـ ومصداق ما يقول الآخرون يعني المخالفين، قال الله لنبيّه عليه وآله السلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي

الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ (آل عمران، ١٥٩) ثم سأله عن أبيه فأخبره أنه قد مضى واستغفر له.)) ثم قال: إنّا أهلُ بيت ورِثنَا العفوَ من آل يعقوبَ، وورِثنَا الشُّكرَ من آل داودَ وَ زَعَمَ أَنَّهُ كَانَ كَلِمَةً أُخْرَى وَ نَسِيَهَا مُحَمَّدٌ فَقُلْتُ لَهُ لَعَلَّهُ قَالَ وَ وَرِثْنَا الصَّبْرَ مِنْ آلِ أَيُّوبَ)) (العياشي، ج ١، ٢٠٣/ الكليني، ج ٨، ٣٠٨) ولا شك ان المقصود من قول الإمام إن لم أقبل كان إبطال مايقول هذا وأصحابه، اي قول صفوان واصحابه في حق الإمام بأنه صاحب حلم وعفو و... بحيث لو لم يعفه الامام لقال المخالفون فأين خلق الإمام لماذا لم يعفو عن محمد بن خالد وقد قدّم عذره إليه وطلب منه العفو. الإمام الرضا عليه السلام كان يستفاد من العفو حتى تجاه أعدائه ومن ظلموه في الماضي. (المجلسي، ج ٤٩، ١٦٧ و رفيعي و كردي، ج ٢، ٧١).

تجلي حسن الخلق في المحبة إلى العائلة:

المحبة والعطوفة في الأسرة هي المبدأ الرئيسي للتربية السليمة والصحيحة لمشاعر الطفل. في ضوء المحبة يمكن أن تسوق مشاعر الطفل بشكل جيد وتقوده إلى الطريق الصحيح والسعادة وجعله إنسانًا يستحق. يجب تعلم درس الإنسانية من الطفولة. يمكن للوالدين الذين يحبون أطفالهم ويتعاملان معهم بالعطوفة أن يعلموهم حب الآخرين. الطفل الذي لم يسبق له أن رأى المحبة من أحد ولم يذق فرحة العطوفة، لا يفهم معنى المحبة ولا يفهم هذه الحقيقة المعنوية والحياتية فلذا هو يعامل الناس كما قد عامله الناس. لا ينبغي أن نتوقع من مثل هذ الانسان أن يحب الانسانية. (فريد تنكابني، ج ٣، ١٧٨)

إنّ القرآن الكريم قد تحدث بلغة المحبة واعتمد على حب الله دوماً لترغيب الناس في الخيرات والمحاسن ووقايتهم من السيئات. على سبيل المثال، يمكن الإشارة إلى بعض آياته كما يلي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة، ٤٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ (التوبة، ٤)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة، ٢٢٢)، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران، ١٤٨). فيما يتعلق بقيمة المحبة، يمكن القول؛ إنّ الحب هو الجذر الرئيسي لشجرة الأخلاق والفضيلة والموضوع الرئيسي للكرامة الإنسانية - رأس المال الرئيسي للدين هو الحب. كما قال الإمام الصادق عليه السلام: هل الدينُ إلا الحب)). (المجلسي، ج ٢٣، ١٢٢) محبة الوالدين للطفل هو نموذج من الحب الالهي والرحمة الإلهية، ومن أحب طفله تشمله الرحمة الإلهية. قال الامام الصادق عليه السلام:

((إنّ اللّهَ لَيَرحَمُ العَبدَ لِشدّةِ حُبِّه لِوَلَدِه)). (الكليني، ج ٥٠، ٦٠) لطالما عبّرت الإمام الرضا عليه السلام عن حبه لعائلته وخاطب طفله بعبارات جميلة وممتعة. وفي اللحظات الأخيرة من حياته لم يتردد في التعبير عن حبه لابنه الإمام الجواد عليه السلام فقام واحتضنه وعانقه وقبل بين عينيه. (ابن بابويه القمي، ٦٦٣) وقد تجلى هذا السلوك الحسن بشكل كامل في حياة الرسول الكريم. كانَ رسولُ اللّه صلى الله عليه وآله يُقَبِّلُ الحَسَنَ و الحُسَينَ فقالَ عُيَينَةُ ـ و في روايَةِ غَيرِه: الأقرَعُ بنُ حابِسٍ ـ: إنّ لِي عَشرَةً ما قَبَّلتُ واحِدا مِنهُم قَطُّ ! فقالَ عليه السلام: مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ. (الحر العاملي، ٢١/ ٤٨٥، ح ٢٧٦٥) يجب أن يعتبر الأطفال أن مركز الأسرة هو البيئة الأكثر أمانًا وصحة حتى لا تجتذبهم الظواهر الجميلة خارج الأسرة.

تجلّي حسن الخلق في الإنفاق:

يعتبر حل مشاكل الناس من أهم الخدمات التي قد أمر أولياء الله بها وشدد عليها. حيث قد ذكرت أحاديث كثيرة تحت باب ((تفريج كرب المؤمن)). عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَمَّرِ بْنِ خَلَّادٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ إِنَ لِلَّهِ عِبَاداً فِي الْأَرْضِ يَسْعَوْنَ فِي حَوَائِجِ النَّاسِ هُمُ الْآمِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. (الكليني، ١٣٨٨: ٢/ ١٩٧) الأمالي للصدوق السِّنَانِيُّ عَنِ الْأَسَدِيِّ عَنِ النَّخَعِيِّ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ عَنِ الْمُفَضَّلِ عَنِ ابْنِ ظَبْيَانَ قَالَ قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات عليه وآله وسلم: ((خَيْرُ النَّاسِ مَنِ انْتَفَعَ بِهِ النَّاس)). هذا المفهوم يتجلى في السيرة العملية للإمام الرضا عليه السلام حيث قَالَ علی بْنُ شُعَيْبٍ دَخَلْتُ عَلَى أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَقَالَ لِي يَا علی مَنْ أَحْسَنُ النَّاسِ مَعَاشاً قُلْتُ يَا سَيِّدِي أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَقَالَ عليه السلام يَا علی مَنْ حَسَّنَ مَعَاشَ غَيْرِهِ فِي مَعَاشِهِ يَا علی مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ مَعَاشاً قُلْتُ أَنْتَ أَعْلَمُ قَالَ مَنْ لَمْ يُعِشْ غَيْرَهُ فِي مَعَاشِهِ يَا علی أَحْسِنُوا جِوَارَ النِّعَمِ فَإِنَّهَا وَحْشِيَّةٌ مَا نَأَتْ عَنْ قَوْمٍ فَعَادَتْ إِلَيْهِم. (الحراني، ٤٤٨/ حكيمي، ٦٨٦/٦) دخل رجلٌ على الإمام الرضا عليه السلام وقال: ((يا إبن رسول الله، فقدت نفقة طريقي وليس لدي مال ليوصلني إلى أهلي. فاقرضني المال وسأعطي هذا المال في وطني نيابة عنك؛ إن الامام الرضا عليه السلام قد دخل الغرفة وأخرج يداه وقال: خذ هذا الكيس وفيه مئتا دينار ولا حاجة أن تصدق من جانبي. عندما ذهب ذلك الرجل، سأل أحد الحضار من الإمام عليه السلام: ((نحنُ أهل البيت لا نريد أن نرى ذلة السؤال في وجه

السائل. ((الديلمي، ١/ ٣٣٠ - ٣٢٩) وقد ذكر في القرآن الكريم وأحاديث الرسول والأئمة المعصومين عليهم السلام عن الإنفاق كثيراً وربما نجد أقل موضوع تم تأكيده على هذا الحد. (حكيمي، ١٠٩) جاء في القرآن الكريم: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ (الحديد/ ٧) الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْوَشَّاءِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عليه السلام يَقُولُ السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْجَنَّةِ قَرِيبٌ مِنَ النَّاسِ. (المجلسي، ٧١/ ٣٥٢) قد جاء في سيرة الإمام الرضا عليه السلام: عندما كان الإمام الرضا عليه السلام في خراسان كان يعطي للفقراء ما عنده. وكان بذله عظيما لدرجة أن فضل بن السهل إغترض عليه وقال: إن هذا العمل من قبلك هو الخسارة، فأجاب الإمام عليه السلام: ((عندما تُعطون شيئاً كهديةٍ أو بَذلٍ لا تُبطِلُوا لأنَّ البذلَ ليسَ الخِسَارةُ بَل هُوَ ربحٌ)) (المجلسي، ٣٩/ ٧٥)

الخاتمة:

بعد مقارنة كلام الإمام الرضا عليه السلام وحياته العملية والتعليمية بآيات القرآن وتجلي مكون حسن الخلق القرآني في صفات مثل: اللطف، والإحسان، والتواضع، والديمقراطية، والتسامح، الحب والصدقة والانفتاح يمكننا الحصول على النتائج التالية:

كان كل من الأئمة المعصومين عليهم السلام مظهراً من مظاهر الأخلاق النبوية كما روى الامام الرضا عليه السلام في حياته الشخصية والاجتماعية، الأخلاق الرفيعة للنبي صلى الله عليه وآله وكان النبي صلى الله عليه وآله قدوة عظيمة في الأخلاق الحميدة الذي ذكره الله سبحانه تعالى في القرآن الكريم ويعرف أن مفتاح نجاحه هو أخلاقه القيّمة. لهذا السبب، كل إنسان يبحث عن الحقيقة والسعادة يمكن أن يتبع طريق القرب من الله بشكل صحيح ويحصل على الكمال البشري والفضائل من خلال التأثر بسيرة المعصومين عليهم السلام. من أهم أهداف الأنبياء والزعماء الدينيين هو تزيين البشر بالفضائل الأخلاقية. يتم تحقيق هذا الهدف بأفضل طريقة من خلال اتباع أسلوب الحياة الحقيقي المتمركز حول الله للشخصيات السامية مثل الإمام الرضا عليه السلام الذين هم مع القرآن.

أفضل الطريقة التربوية في التأثير على الناس وإرشادهم وهدايتهم إلى دين الإسلام

والنأي بأنفسهم عن الأجواء الرهيبة للحكام المستبدين والماكرين؛ هو التسامح والعطوفة مع الناس.

بذل الإمام الرضا عليه السلام قصاري جهوده لتحقيق هذا الهدف وإجراء الثقافة القرآنية وحقق نجاحا باهرا. حيث أنه بعد إستشهاد هذا الإمام عليه السلام يعتبره الشيعة والمسلمون أسوة للرفق والعطوفة ويذكرون الإمام بهذا الاسم ويتأثرون بسيرته.

في عصر يواجه فيه العالم مع جهل حديث ومعايير الكفر ورموزه والسيطرة المتعجرفة، ويترصد الأوغاد وقطاع الطرق في طريق قافلة الإنسانية وجميع أنواع الشرور والأذى والأكاذيب التي تنتشر من الحناجر لوسائل إعلامهم القوية والعملاقة. أمطرت على الناس وأغرقت أبناء المجتمع في هاوية اليأس والاكتئاب. في هذا الوادي الملتوي الرهيب، يمكن رؤية طريق الشرف والصعود والمرور بالقمم الصعبة بوضوح في الحياة النظرية والعملية للإمام الرضا عليه السلام. درس الماضي هو منارة المستقبل.

هوامش البحث

(١) - كما قال الإمام الصادق عليه السلام: ((كونُوا دُعَاةَ النَّاسِ بِأَعْمَالِكمْ وَ لَا تَكونُوا دُعَاةً بِأَلْسِنَتِكم))؛ (اصول كافي، ج٢/٧٨؛ الحياه، ١٣٨٠ ش: ٥٢٢/١).

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتديء به القرآن الكريم

- ابن شهر آشوب، ابي جعفر رشيد الدين (بي تا). مناقب آل ابي طالب. قم: انتشارات مصطفوي
- ابن بابويه القمي (الشيخ الصدوق)، محمد بن على بن بابويه (١٤٣٤ ق)، الأمالي، التحقيق::احمد عابدي، دار الكتب الاسلامية.
- ابن مسكويه، (١٤٢٢ ق). تهذيب الاخلاق و تطهير الاعراق. انتشارات بيدار.

- ابن منظور، (١٤٠٨ ق). لسان العرب. بيروت. دار احياء التراث العربي.
- اربلي، ابوالحسن علي بن عيسي،(١٣٨١ق). كشف الغمة في معرفة الائمة، تبريز: انتشارات مكتب بني هاشم.
- الطوسي، خواجه نصير، (دون تا). اخلاق ناصري.
- الحراني، ابي محمد الحسن بن علي الحسين، (١٣٩٨). تحف العقول عن آل الرسول، طهران: كتابفروشي اسلاميه.
- الحرالعاملي، محمد بن الحسن. (١٤٠٩). و سائل الشيعة . موسسه آل البيت
- حكيمي، محمد و محمد رضا (١٣٨٠ ش)، الحياه، طهران، دفتر نشر فرهنگ اسلامي
- حكيمي، محمد (١٣٨٩) فرازهايي از سخنان امام رضا. مشهد: بنياد پژوهش هاي اسلامي
- حكيمي - محمد، (١٣٩٠). شذرات من كلام الامام الرضا عليه السلام. تعريب دكتر على اسلامي، مشهد: شركت به نشر.
- الخزاز الرازي، على بن محمد، (١٤٠١). كفاية الاثر في النص على الائمة الاثني عشر، قم: انتشارات بيدار
- الخميني، روح اله، (١٣٧١). صحيفة نور. طهران: انتشارات وزارت فرهنگ و ارشاد اسلامي
- رفيعي، ناصر و كردي، عبدالرضا، (١٣٩٤). نسيم همدلي. مشهد: انتشارات آستان قدس رضوي
- الراغب الأصفهاني، ابولقاسم الحسين بن محمد، (١٤٠٤ ق). المفردات في غريب القرآن. تحقيق محمد سيد جيلاني، بي جا: دار المعرفة
- عميد، حسن، (١٣٦٩). طهران، انتشارات امير كبير.
- فريد تنكابني، مرتضي، (١٣٨٢). الحديث. روايت تربيتي از مكتب اهل بيت، (دفتر نشر فرهنگ اسلامي).
- كتابي، شهرزاد و مريم،(١٣٩١). امام رضا عليه السلام در آيينه قرآن و عترت، مشهد: اميد مهر
- محدثي، جواد. (١٣٨٤). آداب معاشرت. قم: بوستان كتاب
- الكليني، محمد بن يعقوب. (١٤٢٩)، الكافي، قم: دارالحديث
- الكليني، اصول الكافي (١٣٨٨ ق). دار الكتب الاسلامية.

- المجلسي (١٤٠٣ق) - بحار الانوار، بيروت: مؤسسة الوفاء.
- المجلسي، محمد باقر (١٤٠٤ق). بحارالانوار. طهران: انتشارات دارالكتب الإسلامية.
- مشكات (بيات)، عبدالرسول. (١٣٩٠). فرهنگ واژه ها، طهران، مؤسسة سمت.